الموسم

مجلة فصلية مصورة تعنى بالآثار والتراث

مجلة الموسم (العدد 17) – 1994 – 1414

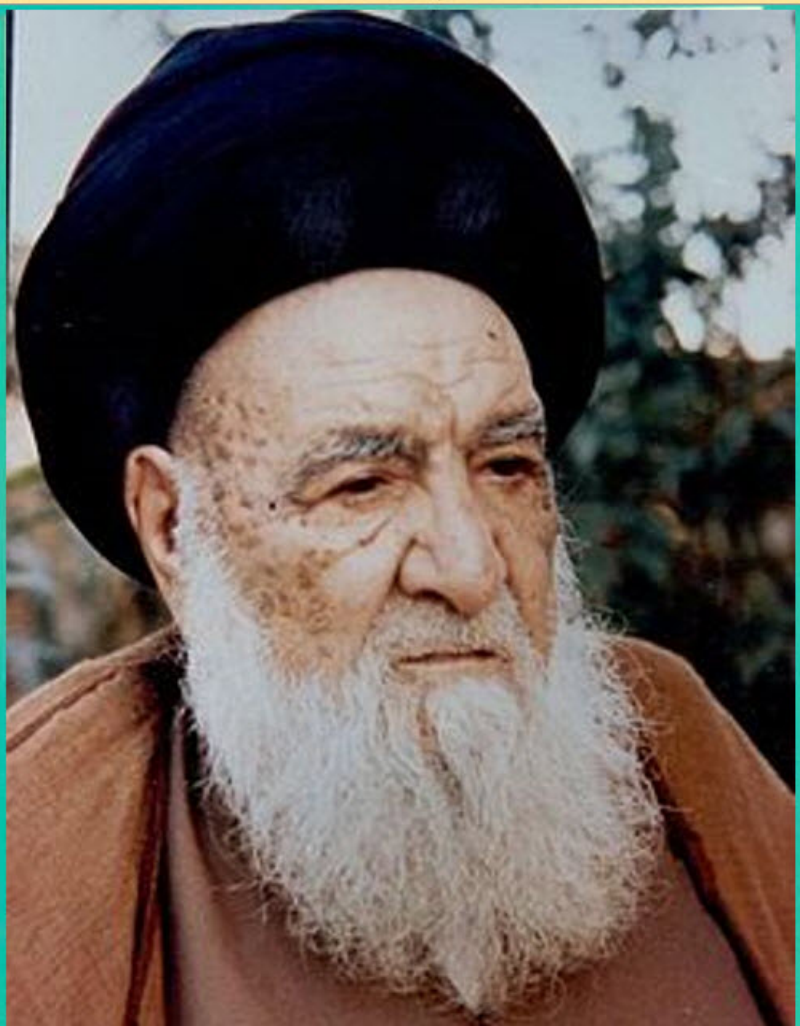

آرشيو مخطوطات
خزانة رخامي دار الحديث
٢١٢٣٠

الإصلاح

مجلة فصلية مصورة تعنى بالآثار والتراث

صاحبها ورئيس تحريرها

محمد سعيد الطريحي

Shiabooks.net

١٧

ترسل جميع المراسلات والطلبات باسم صاحب المجلة الى :

المركز الوثائقي لتراث اهل البيت عليهم السلام

اكاديمية الكوفة

«مؤسسة مسجلة في المملكة الهولندية»

KUFA ACADEMY
POST BUS 1113
3260 AC OUD - BEIJRLAND
[HOLLAND] - TEL, FAX: 01860 - 20712

الاشتراك السنوي ١٠٠ دولار امريكي

«أدب الاختلاف في حياة الإمام» الخوئي

● منصور عبد الجليل القطري

الاسلامُ شأنه شأن جميع العقائد الكبرى ؛ التي تنطوي تحت لوائه .. العديد من وجهات النظر المختلفة ؛ التي تمس الفروع ، وليس الجوهر .. ومعروفٌ أنَّ الاختلاف بمفرده ؛ لا يؤدي إلى الفرقة .. خصوصاً إذا ارتبط الاختلاف مع الطرف الآخر ، بمجموعة تعليمات ، وضوابط أخلاقية ؛ التي شرعها الدين .. بل يعتبر ظاهرةً صحيّةً ؛ تُغني العقل الإسلامي ، بخصوبةٍ في الرأي .

الإمام الخوئي ـ قدَّس الله نفسه الشريفة ـ يقدم لنا نموذجاً راقياً ؛ في التعامل مع الطرف الآخر ، حال الإختلاف .

والإختلاف ؛ يعتبر ظاهرةً بشريّةً .. سببه تنوُّع مدارك الإنسان .. واختلاف الظروف .

وقد يكون من المناسب لنا ، أن نطرح سؤالاً ؛ مفادهُ :

ما هي العناصر التي قادت ؛ إلى أن تكون شخصية الإمام الخوئي .. متميزة في التعامل مع الطرف الآخر ؟ !

اوّل هذه العناصر .. هو عنصر التقوى :

إن عنصر التقوى .. هو أحد دعائم الوفاق .. والتجرد من الهوى .. وإنَّ أخوة الإسلام .. ووحدة الصف الإسلامي من أهم الفرائض وأخطرها .. بل يعتبر عبادة .. ومن أهم العبادات .

والخوئي ؛ نلاحظه أنه قد تجاوز حالة الذات ، إلى حالة الموضوع .

فالتقوى ـ في هذا المقام ـ تعتبر عملية ضبط داخلي ، في عدم التعدي على الغير .. وترشيد حالة الحوار .. والعلاقة مع الطرف الآخر ..

حيث تميزت مدرسة الإمام الخوئي ، بالموضوعية العلمية ؛ فلو تناولنا جانباً من جوانب هذه الشخصية .. في ما يتعلق بالإختلاف مع الطرف الآخر .. نلاحظ أنَّ الإمام الخوئي عندما كان يتعامل مع الآراء الأخرى .. فإنه يعرضها بكل تجرد ، ويطرحها مع الآراء الأخرى بكل امانة ؛ حتى يتخيل للإنسان انه عندما يقرأ للإمام الخوئي .. أي كتابة .. انه يقرأ ، أو يسمع آراء لسيد .. وليست آراء الآخرين .. بل يلاحظ انه ـ كثيراً من الأحيان ـ يتبنى هذه الآراء ، ويدافع عن هذه الآراء .. وربما حاول أن يوجد لبعض تلك الآراء ، توجيهاً أدق وأعمق مما هو عند أصحاب الرأي أنفسهم .. وبعد أن ينتهي الإمام الخوئي من عرض آراء الآخرين ؛ عرضاً موضوعياً متحرراً ، يبدأ بإثارة الإشكالات .. واحداً تلو الآخر .. يبدأ بإشكال .. تلو الآخر .. ثم يناقش هذه الإشكالات بتجرد تام .. وتلمس من خلال طرح الإمام الخوئي .. روح الحوار العلمي والهادىء ، والمنهجية الأصلية في البحث والدراسة .

ولا ينسى الإمام الخوئي ؛ وهو يحاسب الآراء الأخرى ، أن يُشير إلى النقاط الصائبة ، في تلك الآراء والنظريات ، ويعطيها قيمتها العلمية .. وبعد أن ينتهي الإمام الخوئي من كل هذه الحالة ، في الحوار والدراسة العلمية .. نلاحظ أنه يصوغ رأيه بكل قوّة وثقة .. مدَّعماً آراءه بالأدلة والبراهين .

وهكذا نلاحظ أن أبحاث الإمام الخوئي ؛ تميَّزت بالمنهجية ، والموضوعيّة .. ومعروفٌ أنَّ المنهجية والموضوعية ؛ لها دورٌ فاعلٌ في حركة

الأُمة ، على المستويات .. على المستوى العلمي ، والثقافي ؛ بل وحتى المستويات النفسيّة والروحية والأخلاقية والإجتماعية ، وحتى السياسية .

فجديرٌ بالأُمة ؛ وهي تحتفل بتأبين الإمام الخوئي أن تُؤَصّل في حياتها ؛ روح المنهجية والموضوعيةّ .. وتبتعد عن حالة الاسفاف ، والانفعال ، والمزاجيّة ، والإرتجال .

وقد كان لعامل التقوى في شخصية الإمام الخوئي ، اثرٌ بالغٌ ؛ بحيث أننا نلاحظ أنّه عمق التلاحم ؛ بين القيمة الاخلاقية ، والقيمة العلمية ، في حس سيدنا الإمام الخوئي .. هذا التمازج بين القيمة الأخلاقية ، والقيمة العلمية انعكس في كثير من الحوادث ؛ التي قد لا يتسع المجال إلى ذكر كلها بالتفصيل .

ولو أخذنا موقفاً سلوكياً يجسد هذا الإمتزاج ، بين القيمة الأخلاقية السلوكية ، وبين القيمة العلمية :

«يذكر أنَّ السيد الخوئي كان ـ احد المرات ـ على سرير المرض ، في أحد المستشفيات ، فدخل عليه الشهيد الصدر ـ قدس الله نفسه الشريفة ـ فنهض الإمام الخوئي من السرير .. وارتدى عمامته بكل وقار ، لاستقبال الشهيد الصدر .. فبادره الشهيد الصدر بقوله :

سيدنا أنت مريضٌ ، وابقوا على راحتكم !

نُلاحظ أن الشهيد الصدر ، كان أحد تلامذة الإمام الخوئي ، لكن لنتصور عبارة الإمام الخوئي ... !

يقول الإمام الخوئي للشهيد الصَّدر :

كيف لا ، وأنا أستقبل النجف بكامله ..!؟»

نلاحظ هذا الموقف السلوكي .. بأن الإمام الخوئي ؛ توج لنا توصيات الأئمة الأخلاقية ، والتربوية ، التي أورثت لنا تجربةً صادقةً في حياة الإمام الخوئي .

والاحاديث الواردة في الحفاظ على أُخوة المسلم .. في نهج البلاغة ، وفي كثير من التوصيات ؛ عند مدرسة أهل البيت عليهم السلام ، يقول الإمام علي (ع) ، في النهج .

«المؤمن لا يُعيبُ اخاه ، ولا يحزنه ، ولا يتهمه ، ولا يخذله ، ولا يتبرأ منه ...»

«اقبل عذر أخيك ؛ فإن لم يكن له عذر ؛ فالتمس له عذراً»

ونلاحظ في علم النفس الإسلامي العيادي ، أنّه يعتبر الإفراط في التعدي على الشخصية الإسلامية .. هو دلالة على السلوك المرضي .

كما أنه من جانب آخر ؛ يعتبر مؤشراً عقائدياً على ضعف الحالة التقوائية .

فالإمام الخوئي في كثير من المواقف ؛ جسد لنا .. أنَّ حالة الإيثار ، تستنبت التجربة المعصومة .. في كثير من المواقف ، وكأن الإمام الخوئي في كثير من الحالات ؛ يرفع لنا شعار الإمام علي (ع) :

«والله لأسلمن ما سلمت أمور المسلمين ؛ ولم يكن فيها جورٌ إلا عليَّ خاصة ...» .

نحن نستفيد من تجارب الأئمة ، وتلامذة الأئمة .. بما فيهم الإمام الخوئي .. امتداداً من الإمام علي (ع) ، في حروبه مع الخوارج .

وقد يكون حاضراً في الأذهان ؛ أيضاً .. تجربة الإمام الحسين مع الحر بن يزيد الرياحي .

لم تمحنا ـ قليلاً ـ في هذه الظاهرة .. ظاهرة الحر ، وظاهرة الإمام الحسين .. نلاحظ أن الحر كان في مرحلة ما .. يعتبر طرفاً آخر بالنسبة إلى الإمام الحسين .

لكن لم نلاحظ أن تعدى البعض منهم حالة الآداب الإسلامية ، والأخلاق الإسلامية .. !

نلاحظ أن الحر ؛ كان في حواره المشهور ، لم يتعد أخلاقيات وآداب الإسلام ؛ بل كان نزيها ... ومعلوم أنه وصل الحال بالحر إلى انه صلى خلف الإمام الحسين (ع) .

فما أجدر أن تتحرك في واقعنا الإجتماعي .. ظاهرة الإمام الحسين ؛ عندما رشف الخيل ترشيفاً .

وما أجدر أيضاً أن يتحرك في واقعنا الاجتماعي .. ظاهرة الحر ، وايضاً ظاهرة الإمام الخوئي .

العنصر الآخر ؛ والذي يمتزج مع العنصر الأول .. عنصر العلم ، أو الوعي :

أسلفنا الذكر في أن الإمام الخوئي ؛ تميز بعنصر التقوى ، أثناء العلاقة مع الآخرين .

والعنصر الآخر هو العلم .. أو الوعي .

ويحضرني في هذا المقام ؛ قول للإمام علي (ع) .. يقول :

«لو سكت الجاهل ، لما اختلف الناس» .

فمعلوم أن حالة الجهل؛ تعتبر دعامة لتفجير حالة الإختلاف ، فتقبل الإمام الخوئي ، للرأي الآخر .. يعتبر مؤشراً لهضم الإمام ، للمنهج العلمي في مسألة النقد .. والنقد الذاتي .

ومعلوم أن مسألة النقد ، والنقد الذاتي ؛ هو أساسٌ للحرية ، والبناء في شتى مجالات الحياة .

تذكر حادثة أخرى أيضاً .. تدعم هذا التوجه ، في تجربة الإمام الخوئي .

أنَّ الإمام الخوئي .. نُقل له في أحد المرات .. خبر فتوى الشهيد الصدر .. في طهارة الناصبي .

لنتمعن في جواب الإمام الخوئي ؛ عندما سمع خبر فتوى الشهيد الصدر ، قال وبكل تواضع ، ما معناه :

قد يكون الصّدر ؛ قد توصل إلى دليل ، لم نتوصل إليه .

اجاب الإمام الخوئي ، بهذه العبارة ...!

هذا الموقف من شخص يعتبر أعلم زمانه .. ما هو إلا دليل على سمو هذه الشخصية ..!

الإمام الخوئي ؛ لم يدخل العنصر الذاتي ، من حيث كون الشهيد الصدر كان تلميذاً .

لم يتحرك الإمام الخوئي من واقع عقدة الأستاذية .. بل رسم لنا عنواناً عريضاً ... وشعاراً براقاً .. هو أن الأستاذ المتفوق ؛ يخرج تلميذاً متفوقاً .

نلاحظ ـ هنا ـ أن الخوئي ، في كثير من مواقفه ؛ كانت تعكس نمطاً من انماط السلوك الراقي ، في التعامل مع الآخرين .

أحد الميزات الأخرى ؛ التي تضاف إلى مدرسة الخوئي ـ أيضاً ـ اشتهار الإمام ؛ بقوة الحجية في الإقناع .

هذه الملكة النفسية ، والذهنية التي كان يتمتع بها الإمام الخوئي .. في الواقع ؛ شيدت أساساً لإصلاح الأمة ، وإيقاظ الأمة .

الإمام الخوئي ؛ تميز بطرح آرائه ؛ عن طريق الإقناع ، وليس عن طريق الفرض ، والقهر ، والتسلط .

والإمام الخوئي : كان يجسدلنا هذه التركة ، من الأحاديث ، والتوصيات للمشرع الإسلامي .. حين جاء في الحديث :

«ثلاثة من لقي الله بهن ، دخل الجنة ؛ إحدى هذه الثلاث ؛ ترك المراء ، وإن كان محقاً» .

عندما نسلط الضوء ، على الواقع الإجتماعي ؛ نلاحظ أنَّ ـ هناك ؛ حالة من تضخيم الخلاف الذاتي .. ابتداءً من العلاقات الصداقية ، والأسريّة .. وانتهاءً بخط الداعيّة ، وعلاقته بأخيه الداعيّة .

كل هذه الخطوط .. تعكس حالة من التضخيم الذاتي ، ونحن نعلم ، أن معظم الخلافات ـ دائماً ـ تقع في تفاصيل الثانوية ، أو في جزئيات العمل ، وفي الجوانب التطبيقية .. وغالباً لا تمس الجوهر .. لكن حالة التشنج ، وحالة المبالغة في الذات ؛ نلاحظ أنه ـ دائماً ـ تحول المعركة من الخارج إلى الداخل ، عندما نشتغل في كثير من الأحيان ، بالقضايا الجزئية ـ دائماً ، نضيع الأهداف الكبيرة ، والأهداف العريضة .. وهذا يعكس في الواقع الإجتماعي .. ضيق أفق الناس .. عندما يتعاملون مع القضايا .. ويركزون على الجوانب الصغيرة .

الإمام الخوئي ؛ رسم لنا خطاً فاصلاً ، بين مصدر العطاء ، وجمع الشمل .. وبين الضعف والتشتت .

إن الإيمان غالباً ، يخلق حالة من تجاوز الخلافات الذاتية .. إلى صنع قاسم مشترك .

لماذا ننطلق في كثير من علاقاتنا ، من خلال الإختلاف ؟!

إذا كنا نتلقي ؛ في تسعين في المائة ؛ من الأمور ، ونختلف في عشرة ، أو أقل ... فلماذا ننطلق من خلال العشرة في المائة ؟! .. لماذا لم ننطلق من خلال الخطوط العريضة ، والأهداف الكبيرة ... ؟!

إن الإمام علياً (ع) ؛ قد وضع لنا قاعدة سلوكية ، وهي : (قاعدة المداراة) .. والمداراة عبارةٌ عن فن استيعاب الآخرين .. من خلال النجاح في التكيف معهم على علاتهم .

يعني : أنه يكون ـ هناك ـ في بعض الأحيان ، قضايا جانبية وجزئية ؛ يجب على الإنسان ، أن يغض الطرف عنها .

وقد علمنا الإمام الخوئي ، بالتجربة العملية ، كيف تختلف آراؤنا ؟ ولا تختلف قلوبنا ؟! ، وكيف يخالف المؤمن أخاه المؤمن في الرأي .. دون أن تمس أخوته .. أو يفقد احترامه ومحبته ...؟! ، بل إن هذه العملية ؛ تعتبر دليلاً على تحضر المجتمع الاسلامي ، وبلاغه درجة الفلاح ... وخصوبة في ساحاته الفكرية ... ولضيق المقام ؛ لا يسعنا إلا أن نرفع أيدينا بالدعاء بأن نسأل الله المولى ؛ العفو ، والغفران ... ونسأله أن يجعلنا من الذين يمكثون في الأرض ، لينفعوا الناس ... وأن يجنبنا من أن نكون من الزبد ؛ الذي يطفو ، ليذهب جفاء ... والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

○ تدشين المركز الإسلامي في نيويورك ويبدو من اليسار : السيد محمد تقي الخوئي ـ السيد محمد بحر العلوم ـ السيد طالب الرفاعي .